الثورات وسؤال الحداثة «2»

< قطر، التي تتباكى على الديمقراطية وحرية الشعوب، ليست دولة ديمقراطية ولا تؤمن بالتعددية السياسية وإيمانها ضعيف بالخيار الديمقراطي كضرورة لاستقرار الشعوب وتنظيم التداول السلمي للسلطة فيها، لذا لم يسبق لها أن قامت بتأسيس ودعم مؤسسات وطنية للتنمية السياسية والاجتماعية أو أنشأت- مثلاً- معهداً ديمقراطياً نوعياً على مستوى الشرق الأوسط، لكنها تدعم وتمول هذه الفوضى الخلاقة وتنتج هذا الدمار والجراح الغائرة باسم حرية الشعوب.

محمد علي عناش

مشروع الشباب وقع في يد أكثر القوى تطرفاً وتخلفاً

حادثة النهدين كشفت المخطط الاجرامي لاستهداف الوطن

لنا أن نسأل من حيث الأساس، كيف أن لنظام حكم أميري بتكوين ومضمون سلفي معادٍ للديمقراطية والتوجهات التحديثية أن يرعى ما بات يعرف بثورات الربيع العربي المغلفة بشعارات حديثة.. هذه الشعارات التي يطرحها كعناوين للمرحلة القادمة التي يريدها أن تكون عبر بوابة تنظيم الاخوان المسلمين..

إن الاحداث العربية، التي تشابهت سيناريوهاتها بعناية، قد أفرزت الى الآن صوراً متماثلة من المعطيات والمشاهد والنتائج المترتبة على هذا التوجه الفوضوي.

لقد حضر الثأر السياسي ولم تحضر القيم والأخلاق السياسية وإرادة التغيير الصادقة.

حضرت الطموحات الحزبية والشخصية وغابت المصلحة العليا للأوطان والشعوب.

حضرت الطائفية والمناطقية والقبلية وغابت الهوية الجمعية.

حضرت الفوضى والحرب الأهلية وغاب الأمن والاستقرار والسلم الوطني والأهلي.

حضرت الجريمة وحضر الانقلاب والاغتيال وسقطت القيم الديمقراطية والإنسانية والمحور السلمي.

حضرت القاعدة في عمق الحدث في أقوى حالاتها، ومازال الفوضويون والقاعديون الجدد يقولون عنها إنها فزاعة، ومازال هناك من يصدق ويقتنع ويصلي لعشتار، أن يخصب أكثر هذا الربيع العربي.

مرتكزات قطر ومؤهلاتها السياسية ضعيفة جداً، كي تشكل قوة سياسية ودبلوماسية مؤثرة اقليمياً ودولياً، بالمقارنة بالسعودية ومصر والكويت، إذ لم يجد نفعاً حضورها في خط الممانعة الذي أرادت ان تكيفه وتعيد تشكيله حسب ما يتوافق وطموحاتها، لأنها ترغب أن يكون لها دور أكبر ومؤثر في الساحة، وأمام هذا الطموح الكبير الذي لم تستطع أن تحققه من خلال موقعها السياسي والدبلوماسي، فلجأت الى التخاطب مباشرة مع الشعوب عبر بعض المؤسسات المدنية وبعض مراكز القوى والنفوذ العشائري، وبعض الاحزاب السياسية والدينية وعلى رأسها تنظيم الاخوان المسلمين الذي يمتلك قاعدة عريضة لطبيعة تكوينه ونشأته على بعد ديني بشكل أساسي، فارتبطت به وروجت له إعلامياً، وغطت معظم مراسلي قناة «الجزيرة» وقناة قطر، من هذا الوسط الديني.

وعملت من خلال التركيز إعلامياً على الشيخ يوسف القرضاوي على ربط الحركة روحياً بالقرضاوي، وإبراز حركة الاخوان كحركة مدنية ودينية معتدلة وكتابة تاريخ الحركة من جديد بعد ترميم وإخفاء الفجوات السلبية في تكوينه وتاريخه، ومن ثم إعادة طرحه بمهنية عالية كحل مقبول للأمة، كما أنها هي من أعادت ترتيب منظومة علاقاته وتحالفاته السياسية حتى مع خصومه التاريخيين، كتكتيك مرحلي ولعبة ذكية الغرض منها تحييد الخطاب السياسي والثقافي التفكيكي لقوى اليسار الموجه ضد الحركة خاصة في مرحلة بالغة الحساسية، أفرزتها أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، ومن ناحية أخرى تجيير كل جهود المعارضة الى صفها في مواجهة الاحزاب الحاكمة، لكنها من ناحية أخرى عمدت- قطر وعبر قناة «الجزيرة»- الى إعادة كتابة تاريخ اليسار العربي (ماركس - قومي) والتوجهات الليبرالية بصورة مشوهة وغير منصفة، وايضاً كتجارب فاشلة.. لذا تمكنت قطر وقناة «الجزيرة» أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً وميدانياً بهذه الثورات التي تعيش فوضاها عبر مكوناتها السياسية والتنظيمية المتعددة وبالتحديد تنظيم الاخوان المسلمين، فهي من وضعت العناوين العريضة للثورات وحددت خط سيرها وهي ايضاً من وضعت وتضع العراقيل تجاه أي حلول وتسويات ومبادرات.. غير أن ارتباط قطر بما يحدث في المنطقة وبالتحديد في سوريا واليمن وليبيا كان مكلفاً للغاية الى درجة الشعور بالتورط على المستوى السياسي والأخلاقي وستكون قطر لا محالة محل اتهام دولي، ومقاضاة شعبية عن نتائج دوره المشبوه في الأحداث، وما نجم عنها، وما ستؤول اليه مستقبلاً..

ربما تكون قطر ذكية في لجوئها الى تنظيم الاخوان المسلمين الذي كان قد تضخم هيكله التنظيمي وتمدده الاجتماعي طوال أكثر من ستة عقود، لكن غباءها وعقم مشروعها العدمي يتجلى في أنها ارتبطت وبطريقة التدخل في شؤون البلدان بتنظيم محظور في بعض الدول التي تشهد اضطرابات وفوضى وبتنظيم تدور حوله الشبهات فيما يتعلق بقضية التطرف والارهاب، ولم يقم ايضاً بعملية مراجعة وتقييم لتاريخه السياسي ومنظومته الفكرية، والانحرافات التنظيمية التي رافقت مشوار حضوره وتفاعلاته، هذه الانحرافات التي بدأت ببروز تيارات العنف الديني كالجماعة الاسلامية والجهاد والهجرة والتكفير والقطبيين وأكثر من عشرين فصيلاً غيرها، وهي فصائل خرجت من معطف تنظيم الاخوان المسلمين، وشكلت فيما بعد أهم وأنشط فصيل ديني في البنية الأولى لتنظيم القاعدة بعد تلاقحها مع السلفية الجهادية، كان من أبرز وجوهه وتجلياته الدكتور أيمن الظواهري..

ولذا سيظل تنظيم الاخوان المسلمين مصنفاً بأنه ليس تنظيماً مدنياً وإنما دينياً وسيظل محل شك وريبة الا إذا قام بعملية مراجعة لمشروعه السياسي وتصحيح الكثير من المفاهيم والمعوقات في تكوينه وتوجهاته الفكرية، والتي ستمثل إعاقة كبيرة في مسألة اندماجه في النظام الديمقراطي بشكل سليم، و إعاقة لخطوات التحديث الاجتماعي والاقتصادي وبناء الدولة المدنية التي تعتبر أهم عناوين وسمات المرحلة القادمة التي ننشدها.

وعليه بات من الضروري على التجمع اليمني للاصلاح أن يستجيب لبيان المثقفين والقوى المدنية التي تطالبه بإدانة من أسموهم «تيار التكفير» و«طالبان اليمن» وعلى رأسهم الزنداني والحزمي والصبري الذين كفروا دعاة الدولة المدنية وبشروا بدولة الخلافة الاسلامية، معتبرين أن مثل هذا الامر لا يجب على الاصلاح التنصل منه، ودليل إثبات على صدقه في المرحلة القادمة التي تكون الدولة المدنية أول سمة من سماتها..

الثورات وسؤال الحداثة

إن الديمقراطية الليبرالية هي جزء من نظرية أشمل للتحديث تقوم على أساس التفرقة بين الحداثة والتقليدية في كافة العلوم الاجتماعية، هذا التقسيم كما يقول د. اسامة حرب في كتابه «الظاهرة الحزبية في دول العالم الثالث» استند الى أفكار «فيبر» حول التقليدية كحقيقة سابقة على الدولة والتنمية السياسية كحقيقة فكرية تمثل اسهام علم السياسة في تحديث المجتمعات المتخلفة مع بقية فروع العلوم الاجتماعية، وعلى ذلك ارتبطت التنمية السياسية بالتحديث بمفهومه الشامل في مجال «التحديث السياسي»، وعند هذه النقطة استشهد حرب بقول «بانيدر» «إن السياسة في أوروبا كانت في الأساس استجابة للقوى التاريخية للتحديث» أما خارج أوروبا على عكس ذلك، «فالسياسة ليست استجابة للتحديث وإنما هي سبب التحديث» غير أن غياب قوى التحديث في المجتمعات المتخلفة لم يتمكن السياسي أن يحقق هذا التحديث، وفي نفس الوقت لم تقم ديمقراطية حقيقية، بل ووصل الامر في هذه المجتمعات الى عدم القدرة على بقاء الحكم آمناً ومستقراً، وتحولت الاحزاب الى أداة من أدوات تكريس التخلف ونشر الفوضى وهدم النظام العام، لأن هذه الأحزاب محملة ومتأثرة بكل خصائص المجتمعات التقليدية القائمة على القبلية والطائفية والاثنيات الأخرى.

وعليه فإن تنظيم الاخوان المسلمين المحرك الأساسي للأحداث العربية ومن ورائه قطر، لا يمكن أن يكون هو الحامل الحقيقي لمشروع التحديث وأن يلتزم بالمشروع الديمقراطي واحترام الحريات واحترام العقل والإرادة البشرية، لا يمكن ان يتحول الى حزب علماني يمثل خط اليسار الاسلامي الذي يفرق بين ما هو بشري وما هو إلهي، وبين ما هو ديني وما هو سياسي وبين ما هو زمني وما هو روحي في نصوص القرآن الكريم وأحكامه، ولا يمكن أن يقيم الدولة المدنية التي تقيمها الإرادة الجمعية للناس من خلال الممارسة الديمقراطية والانتخابات النزيهة، بعيداً عن الارهاب الفكري الذي تمارسه التيارات المتطرفة والارهابية التي تحجر على العقول وتفكير الانسان، وتفرغ الدين من مضمونه الحضاري والعصري، وتحوله الى مجرد آيات جهاد وتكفير وإلغاء للآخر، وإلى محاكم تفتيش باعتبارها مكلفة من السماء للوصاية على الناس وتقرير حالهم ومعاشهم، ولقد سمعنا الشيخ عبدالله صعتر في لقاء له على قناة «سهيل» كيف كفر الموالين لرئيس الجمهورية في سياق حديثه عن الذين قدموا استقالاتهم بقوله:«لقد خرجوا من عبادة الفرد الى عبادة الله»، فكل المعتصمين الذين ينادون بسقوط النظام وتنحي الرئيس هم في نظره فقط من يعبدون الله أما الموالون لرئيس الجمهورية فيعبدون الفرد أي الطاغوت، وفي مقولة تعود جذورها الى سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» عندما وصف الحاكم العربي بالطاغوت والمجتمعات العربية بالمجتمعات الجاهلية ولايزال هذا الكتاب مرجعاً فكرياً لتيار الاخوان المسلمين الى الآن.. وكما رأينا موقف الزنداني من الدولة المدنية باعتبارها توجهاً ضد الدين، وايضاً كما عرفنا أن قيادات وأعضاء في التجمع اليمني للاصلاح وجدت بين قتلى القاعدة في محافظة أبين، ليضع النقاط على الحروف أن تيار الاخوان المسلمين هو البيئة المخصبة للتطرف والارهاب، وتستقي من منهاجه الفكري المتعلق بالحاكمية ودولة الخلافة الاسلامية، كل جماعات العنف الديني.

فيجب أن نبحث عن الابعاد الثقافية والاجتماعية في هذا المشهد وأن نكتشف المسارات اللامستقبلية في الاحداث بل وفي تاريخنا وأن نعي نقطة توقفنا وتعطلنا في التاريخ، فتخلفنا وتأخرنا نحن العرب والمسلمين بينما تقدم وتطور غيرنا، فالتخلف والتأخر كما قال هيجل إنما هو توقف تاريخ الشعوب المتخلفة عند نقطة بعينها، بينما التقدم والتطور ترجمة لحركة التاريخ الذي يصهر كل ما يعترضه من مقومات وتناقضات مشكلاً بذلك هوية متجددة للتطور.

سيظل حزب «الاصلاح« محل شك وريبة إذا لم يتخل عن مشروعه القاعدي

جماعة «الاخوان».. وحلم قيادة البشرية (1-2)

عبدالرحمن مراد

< عتب علينا كثير من الاخوان ممن تربطنا بهم علاقة ودّ في الإطار الاجتماعي والجغرافي الذي يجمعنا، قائلين إن ما نتناول لا يدلُّ على أصالة المجتمع ولا يخدم تحديات المرحلة، وفي الوقت الذي أقدر لهم حرصهم ومتابعتهم لما نتناوله من قضايا واتجاهات فكرية ونقد، أجدد القول الذي سلف وتكرر معنا كثيراً في جل التناولات السابقة، أن أي متغير اجتماعي وسياسي منشود لا يسبقه متغير ثقافي ونفسي وأخلاقي ليس سوى إعادة مثلى لصياغة مكونات الماضي وإنتاجه من جديد، وهذا الأمر يؤكد عليه القرآن وليس من اختراع أحد من الفلاسفة والمفكرين ولكنه من البديهيات التي أكد عليها القرآن الكريم وتواترت على ألسنة الفلاسفة والمفكرين وبصيغ شتى.

ما لا تدركه جماعات الاسلام السياسي أن معركتنا مع العصر معركة ثقافية في المقام الأول، وليست معركة سيف أو مدفع أو رصاصات قاتلة.. لأن الحياة لها قداستها في التصور الإسلامي والذين يعشقون الموت من الجماعات الجهادية لا يتفاعلون مع المتطور الاسلامي للحياة الا بوعي الفناء والغنيمة وهو وعي زائف سلفي يفهم تراث الأمة ونتاجها الفكري والثقافي من خلال الظروف الزمنية الذي أنتجته وتجلياتها وعلائقها الموضوعية.. أي فهم التراث من خلال التراث نفسه- حسب تعبير الجابري- وهو الأمر الذي يتقاطع مع عصر ما بعد الحداثة الذي وصل الى أرقى الآليات والتقنيات الرقمية في ظل غياب كلي للفعل الاسلامي، وهو ما عبر عنه المرجعية الفكرية للاخوان سيد قطب حيث يقول: «فقد غابت الامة المسلمة عن «الوجود» وعن «الشهود» دهراً طويلاً.. وقد تولت قيادة البشرية أفكار أخرى وأمم أخرى، وتصورات أخرى وأوضاع أخرى فترة طويلة، وقد أبدعت العبقرية الأوروبية في هذه الفترة رصيداً ضخماً من «العلم» و«الثقافة» و«الأنظمة» و«الإنتاج المادي».. وهو رصيد ضخم تقف البشرية على قمته، ولا تفرط فيه ولا فيمن يمثله بسهولة وبخاصة أن ما يسمى «العالم الاسلامي» يكاد يكون عاطلاً من كل هذه الزينة..»..

وفي ظني أن الانكفاء على الذات والاشتغال على إنتاج الأصوليات العقائدية التي تسعى الى تدمير مقومات الحياة وتعمل على إهلاك الحرث والنسل وتفسد في الأرض ولا تصلح ولا قيمة عندها لقيم الخير والإنتاج، وتتربص بالآخر خوفاً منه، ولا تستطيع التعايش معه، وفي السياق تحلم بقيادة البشرية وهي لا تملك الا مشروعاً تدميرياً ينطلق من أفواه البنادق والمدافع والعبوات الناسفة ويفلسفه أولئك الانتحاريون الذين يعشقون الموت كمشروع حضاري للمظاهر المدنية الحديثة وللمظاهر الحضارية التي وصل اليها الغرب وقاد البشرية اليها بكل مهنية واقتدار وقدم نفسه كمشروع حضاري أفضل للبشرية.

لقد حلم «الاخوان» بقيادة البشرية منذ منتصف القرن الماضي حيث قال مفكرهم سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» ما نصه: «إن قيادة الرجل الغربي للبشرية قد أوشكت على الزوال.. لا لأن الحضارة الغربية قد أفلست مادياً أو ضعفت من ناحية القوة الاقتصادية والعسكرية.. ولكن لأن النظام الغربي قد انتهى دوره لأنه لم يعد يملك رصيداً من «القيم» يسمح له بالقيادة».

ويمكننا أن نقيس بين ما تم اقتباسه في السياق من كلام سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» المشروع الحضاري للاخوان المسلمين الذي أنتج الجهادية وجماعة الهجرة والتكفير وأنتج القاعدة من خلال اشتغاله على مفهوم الحاكمية والجاهلية الذي أنتجها المجتمع المسلم وبين ما ورد في المقتبس الأخير لنكتشف من خلال فهم السيد قطب نفسه أن الغرب استحق قيادة البشرية لأنه أبدع رصيداً ضخماً من العلم، والثقافة والأنظمة والانتاج المادي في حين ظل العالم الاسلامي عاطلاً من كل هذه الزينة وجل مشاريعه لم تنتج سوى الهجرة والتكفير ومعاداة المنتج الإنساني والاشتغال على لغة الدمار والموت والاقصاء وقد كان سيد قطب مدركاً لجوهر الإشكالية حين قال: إن البشرية لا تستمع - وبخاصة في هذا الزمان - الى عقيدة مجردة، لا ترى مصداقها الواقعي في حياة مشهودة ووجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة..».

وهذا الانقطاع ترك غباراً متناثراً في ذاكرة الكثير من المسلمين ولم يعلق منه في ذاكرة البشرية في عصرنا الا أحداث «١١ سبتمبر» وأسامة بن لادن والقاعدة والأحزمة الناسفة التي يفجرها الفرد المسلم في نفسه وفي البشر من حوله.. وكل ذلك نتاج أيديولوجيا سيد قطب حيث انطلقوا منها، وانفعلوا بها، وظلت ديدنهم طول أكثر من ستين عاماً يقول سيد قطب:

«لابد لنا من التخلص من ضغط المجتمع الجاهلي، والتصورات الجاهلية والتقاليد الجاهلية والقيادة الجاهلية .. في خاصة نفوسنا.. ليست مهمتنا أن نصطلح مع واقع هذا المجتمع الجاهلي ولا أنْ ندين بالولاء له، فهو بهذه الصفة.. صفة الجاهلية غير قابل لأن نصطلح معه، إن مهمتنا أن نغير من أنفسنا أولاً، لنغير هذا المجتمع أخيراً.

إن مهمتنا الاولى هي تغيير واقع هذا المجتمع مهمتنا هي تغيير هذا الواقع الجاهلي من أساسه، هذا الواقع الذي يصطدم اصطداماً أساسياً بالمنهج الاسلامي، وبالتصور الاسلامي والذي يحرمنا بالقهر والضغط أن نعيش كما يريد المنهج الإلهي لنا أن نعيش.

إن أولى الخطوات في طريقنا هي أن نستعلي على هذا المجتمع الجاهلي وقيمه وتصوراته وألا نعدّل نحن في قيمنا وتصوراتنا قليلاً أو كثيراً لنلتقي معه في منتصف الطريق كلها، إننا وإياه على مفرق الطريق، وحين نسايره خطوة واحدة فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق.

وسنلقى في هذا عنتاً ومشقة، وستفرض علينا تضحيات باهظة ولكننا لسنا بخيرين إذا نحن شئنا أن نسلك طريق الجيل الأول الذي

من الصعب التعايش مع عشاق الاحزمة الناسفة

أقر الله به منهجه الإلهي، ونصره على منهج الجاهلية».

هذا الأساس النظري الذي قال به منظر حركة الاخوان سيد قطب عزز من الاصوليات كصورة جدلية لحركة الانتقال في المكان إذ انبثق عن ذلك التصور النظري للسيد قطب كحركة ميكانيكية تصور آخر من داخل التصور السابق الذي كان إطاره الجامع «الاخوان» فكانت «القطبية» و«حركة الجهاد» و«جماعة الهجرة والتكفير» و«القاعدة» كصورة جدلية لم تبدع ولم تبتكر ولكنها أنتجت الجيل الأول الذي أقر الله به منهجه الإلهي وبنفس التصور والآلية وقيم القوة والسيف والرمح والتعالي في المعنى وفي القيمة وفي اللغة والخطاب.

ومن المفارقات العجيبة التي تقع فيها أيديولوجيا «الاخوان» التي قال بها سيد قطب هي التضاد بين النظرية والممارسة، فقد كشفت الأزمة الراهنة عن جوانب عدة من التناقضات التي أسقطت المتعالي الذي هو الدين وأخضعته للمقولات السياسية وحين تزعم النظرية القطبية أن العالم يعيش اليوم كله في «جاهلية» من ناحية الأصل الذي تنبثق منه مقومات الحياة وأنظمتها.. جاهلية لا تخفف منها شيئاً هذه التيسيرات المادية الهائلة.. وهذا الإبداع المادي الفائق.

وترى أن هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض وعلى أخص خصائص الألوهية.. وهي الحاكمية.. إنها تسند الحاكمية الى البشر.. فتجعل بعضهم لبعض أرباباً لا في الصورة البدائية الساذجة التي عرفتها الجاهلية الاولى ولكن في صورة ادعاء حق وصنع التصورات والقيم والشرائع والقوانين والأنظمة والأوضاع بمعزل عن منهج الله للحياة وفيما لم يأذن به الله..».